

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### رِعَايَةُ الْإِسْلَامِ لِلْمُسْتَنِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أْتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ وَرَضِيَ لَنَا الْإِسْلَامَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّائِرِينَ فِي طَرِيقِ الرِّضْوَانِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ نَالَ كُلَّ خَيْرٍ، وَأَبْعَدَهُ اللَّهُ عَنِ الشَّرِّ وَالضَّرِيرِ ﴿ وَتَكَرَّذُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ النُّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (٢).

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ لِتَوْقِيرِ الْكَبِيرِ شَأْنًا فِي الْإِسْلَامِ، فَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ الْأَمْثَلَةِ؛ وَلَنَا فِي قِصَّتِهِ مَعَ وَالِدِ أَبِي بَكْرٍ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؛ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَتَى بِأَبِيهِ إِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ عِنْدَ دُخُولِهِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ، وَكَانَ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَرَّ شَيْبُهُ، وَرَحِمَ ضَعْفَهُ؛ فَأَعْطَى دَرَسًا لِلأُولَئِينَ وَالآخِرِينَ يَبْقَى مَا بَقِيَ الزَّمَانُ، وَيَتَجَلَّجَلُ صَوْتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَقَدْ فَاضَتْ مِنْ قَلْبِ النَّبِيِّ الرَّحِيمِ ﷺ كَلِمَاتٌ التَّوْقِيرِ وَالْإِكْرَامِ، وَنَبَعَتْ مِنْ نَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ مَعَانِي الرَّحْمَةِ وَالِاحْتِرَامِ: (هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ) وَلَعَمْرُ اللَّهِ، تِلْكَ تَجَلِّيَاتُ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (٣)، وَآثَارُ (أَدَبِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي)، وَفِي مَرَّةٍ أَعْطَى النَّبِيُّ الْمُرَبِّي ﷺ دَرَسًا فِي تَوْقِيرِ الْكَبِيرِ لَمَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ، مُفَادًا ذَلِكَ الدَّرْسِ الْعَظِيمِ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خَبَرِ رَجُلٍ كَبِيرٍ فِي السِّنِّ جَاءَ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَبْطَأَ الْحَاضِرُونَ أَنْ يُوسِعُوا لَهُ؛ فَكَانَ ذَلِكَ التَّوَجُّيَهُ الْكَرِيمُ مِنَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

(١) سورة الرحمن / ٦٠.

(٢) سورة البقرة / ١٩٧.

(٣) سورة العنكبوت / ٨.



أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ أَعْظَمَ كَبِيرَيْنِ يَجِبُ تَوْقِيرُهُمَا وَيَلَزُمُ بَرُّهُمَا الْوَالِدَانِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْوَالِدَانِ؛ فَقَدْ وَصَّى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِهِمَا مَرَّاتٍ، وَدَعَا إِلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ؛ فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾<sup>(١)</sup>، بَلْ إِنَّ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَذْكُرُ حَقَّهُمَا بَعْدَ حَقِّهِ، وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا بَعْدَ عِبَادَتِهِ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ بَيَانٌ، وَلَيْسَ فَوْقَ هَذَا الْأَمْرِ أَمْرٌ بِالْإِحْسَانِ، وَانظُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى كَلِمَةِ ﴿إِحْسَانًا﴾ فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّ اسْتِعْمَالَ الْمَصْدَرِ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا لَيْسَ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، بَلْ هُوَ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَأْمُورٌ بِهِ طَوْلَ السِّنِينَ؛ فَإِنَّ الْمَصْدَرَ يَدُلُّ عَلَى الْحَدَثِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ، وَلَا يَكُونُ مُقْتَرِنًا بِزَمَانٍ.

مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ:

إِنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ افْتَضَتْ أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ مِنْ ضَعْفٍ، ثُمَّ تَكُونَ بَعْدَ الضَّعْفِ قُوَّةً، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ الْقُوَّةِ ضَعْفٌ وَشَيْبَةٌ، وَلَقَدْ صَوَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَالَاتِ الضَّعْفِ الثَّلَاثِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ ذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ؛ فَدَوَامُ الْحَالِ مِنَ الْمَحَالِ؛ فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>، وَبِدُخُولِ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ الضَّعْفِ وَالشَّيْبَةِ قَدْ يَصْدُرُ مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَصْدُرُ مِنْهُ فِي قُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ؛ فَتَجِدُهُ أحيانًا ضَيِّقَ الصِّدْرِ، وَقَدْ يَقُولُ قَوْلًا مَا كَانَ يَقُولُهُ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَدْعُو إِلَى الْغَضَبِ، وَقَدْ يَسْكُتُ فَلَا يُكَلِّمُ أَحَدًا، وَقَدْ يَقَاطِعُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْمُقَاطَعَةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ الضَّعْفِ وَالشَّيْبَةِ؛ وَلِذَلِكَ نَبَّهَنَا الْقُرْآنُ إِلَى الْإِنْتِبَاهِ لِهَذِهِ الْحَالِ، وَدَعَانَا إِلَى الصَّبْرِ وَمُقَابَلَةِ ذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ؛ فَلَيْسَ لِلْوَلَدِ أَنْ يُظْهِرَ الضَّجَرَ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِمَا بَالْنَا

(١) سورة العنكبوت/ ٨

(٢) سورة الإسراء/ ٢٣

(٣) سورة الروم / ٥٤



بِمَا فَوْقَ أَفِّ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَفْعَالِ ﴿١﴾ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا ﴿٢﴾، بَلْ لَمْ يَقِفِ الْحَدُّ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الصَّبْرِ وَالسُّكُوتِ؛ فَدَعَانَا رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَنْ نَقُولَ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣﴾ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٤﴾، وَأَمَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ وَالتَّوَاضُعِ لَهُمَا مُذَكِّرًا لَنَا بِمَعْرُوفِهِمَا وَصَبْرِهِمَا عَلَى تَرْبِيَةِ الْوَالِدِ فِي صِغَرِهِ؛ فَإِنَّ مَعْرُوفَهُمَا عَظِيمٌ، وَحَقَّهُمَا كَرِيمٌ ﴿٥﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٦﴾،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -، وَاعْرِفُوا الْحُقُوقَ، وَوَقِّرُوا الْكَبِيرَ، وَارْحَمُوا الصَّغِيرَ، وَبَرُّوا آبَاءَكُمْ يَبْرِكُمْ أَوْلَادَكُمْ، وَتَنَالُوا مَرْضَاةَ رَبِّكُمْ، ﴿٧﴾ وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨﴾.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

\*\*\*\*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ وَاجِبٌ وَلَوْ كَانَا لَا يَقُومَانِ بِحَقِّ الْوَالِدِ، أَوْ كَانَا يَخْتَلِفَانِ مَعَ وُلْدِهِمَا فِي أَمْرِ مَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُسْقِطُ حَقَّهُمَا، وَلَا يُجِيزُ عَدَمَ بَرِّهِمَا؛ فَهُمَا مُسْتَحِقَّانِ لِلْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ بِالْوَالِدِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَسْبَابِ، وَلَقَدْ صَوَّرَ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَرَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِأَبِيهِ الَّذِي لَمْ يُؤْمِنْ بِرِسَالَتِهِ، وَكَانَ يَقِفُ فِي طَرِيقِ دَعْوَتِهِ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ خَاطَبَهُ بِالطَّفِّ الْكَلَامِ، وَكَانَ تَعَامَلُهُ مَعَهُ غَايَةً فِي الْبِرِّ

(١) سورة الإسراء / ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء / ٢٣ .

(٣) سورة الإسراء / ٢٤ .

(٤) سورة المزمل / ٢٠ .



وَالْإِحْسَانَ؛ فَخَاطَبَهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ بِقَوْلِهِ (يَا أَبَتِ)، فَزَادَ ذَلِكَ الْأَبُ غِلْظَةً وَفَظَاطَةً، وَزَادَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَرًّا وَإِحْسَانًا؛ فَقَالَ الْأَبُ لِلْوَلَدِ ﴿لَيْنَ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنَّيَ مَلِيًّا﴾<sup>(١)</sup>، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِأَبِيهِ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>، فَكَانَ فِعْلُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْبِرِّ، وَمُنْتَهَى الْخُلُقِ فِي الْإِحْسَانِ ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْتُهُمْ أَقْتَدَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَن خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَن أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَن سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَن الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.



(١) سورة مريم / ٤٦.

(٢) سورة مريم / ٤٧.

(٣) سورة الأنعام / ٩٠.

(٤) سورة الأحزاب / ٥٦.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ  
أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.  
اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا  
وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.  
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.  
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

